الثقافي الذي لعبه الحزب ، والعناصر المناضلة في هذا الصعيد التي انتجها ، فانه لم يلعب في الحركة النضالية الفلسطينية في تلك الفترة الدور الذي رشحه له مؤتمره السابع ، وقد انشطر الحزب من القاعدة خلال ثورة ١٩٣٦ ، وتعرض لانشطار اخر ، قاعدي ، في ١٩٤٨ ، وفي ١٩٦٥ انشق مرة اخرى ، والسبب بالضبط يتعلق بمسالة التعريب ، اذ ان المنشقين كانوا من دعاة تبني سياسة «بناءة» ازاء الصهيونية . ان غياب دور الحزب الشيوعي على هذه الصورة ، وضعف البورجوازية العربية الصاعدة ، وتشتت الحركة العمالية العربية ، جعل دور القيادات الاقطاعية ـ الدينية مرشحا للعب دور رئيسي عندما تصاعدت الاحداث الى انفجار ١٩٣٦ .

الفلاحون

تلك كانت الاوضاع العمالية عشية انفجار ثورة ١٩٣٦ ، الا ان هذه الاوضاع كانت تشغل نصف مساحة الخارطة التي كان يحتدم فيها ذلك التناقض المركب بين المجتمع اليهودي في فلسطين وبين المجتمع العربي ثم داخل كل واحد من هذين المجتمعين على حدة . أما النصف الاخر من الخارطة فقد كان في الريف . فهناك اخذ الصراع شكله القومي المباشر ، لان الاموال اليهودية المندفقة بغزارة على فلسطين مضافا اليها القوات العسكرية للامبرياليين البريطانيين ، والنفوذ الهائل للجهاز الاداري الانكليزي ، قد حققت بالنسبة الى مخططات الصهيونية في اقامة دولة يهودية نتائج تافهة (٦٧٥٢ مستوطنا مستعمرا) ولكنها نجحت في مزاولة تأثير تخريبي على الجماهير العربية ... ان ملكية الجماعات اليهودية قد ارتفعت على حساب الاراضي الريفية والمدينية من ٣٠٠ الف دونم عام ١٩٢٩ الى مليون و ٢٥٠ الف دونم عام ١٩٣٠ . ان هذه الـ ١٠٠ الف هكتار لا تساوي شيئا يذكر بالنسبة للاستعمار الجماعي، ولحل « المسالة اليهودية » ، ولكن ... الاستيلاء على حوالي مليون دونم اي ما يقرب من ثلث الارض الزراعية، يعني الافقار للفلاحين والبدو على نطاق ووتيرة لم يسمع بهما من ذي قبل ، ان عدد عائلات الفلاحين الذين طردوا من ارضهم من قبل الصهاينة يبلغ (١٩٣١) ٢٠ الفا (٣٠). على انه بالاضافة لعملية الافقار المنظمة هذه ، فان العامل القومي ها هنا يلعب دورا رئيسيا . فالحياة الزراعية في العالم المتخلف عموما ، وبصورة خاصة في العالم العربي ، ليست نمطا من الانتاج فحسب ، بل هي ايضا وبدرجة مساوية اسلوب حياة اجتماعية ودينية وطقوسية راسخة . وبالتالي فان الصدام على هذا الصعيد يشكل صداما يأخذ بالدرجة الاولى شكل الصراع القومي البحت . فحتى عام ١٩٣١ كان ١٥١ يهوديا فقط من كل الف يهودي في فلسطين يعتمدون في معيشتهم على الزراعة ، بينما كانت النسبة بين العرب المسلمين ٦٣٧ شخصا في كل الف ، وهكذا فانه من اصل حوالي ١١٩ الف «فلاح» يشتغل بالاعمال الزراعية في فلسطين لا يوجد الا ١١ الف يهودي تقريبا(٣١). وفي حين انه (في عام ١٩٣١) كان هناك ١٩،١ بالمئة من اليهود فقط يعملون في الزراعة كان هناك ٥٩ بالمئة من العرب يمارسون هذا العمل. ان الاساس الاقتصادي لهذا الصدام فادح الخطورة بالطبع ، ولكن كي نفهمه تماما ينبغي ان ندرك وجهه القومي : ان ٣٠ بالمئة من الفلاحين العرب في ١٩٤١ لم يكن لديهم اية قطعة ارض ، فيما كان يملك ٥٠ بالمئة من الباقي ارضا صغيرة لا تكفيهم ، هنالك ـ من جهة اخرى ـ ٢٥٠ اقطاعيا عربيا كانوا يملكون ٤ ملايين دونم ، و ٢٥ الف عائلة فلاحية بدون ارض ، و ٤٦ الف عائلة فلاحية لها ارض صغيرة بمعدل ١٠٠ دونم للعائلة، و١٥ الف عامل زراعي مأجور يعملون عند ملاكين. وحسب دراسة اجريت على ٣٢٢ قرية عربية في ١٩٣٦ تبين ان ٤٧ بالمئة من الفلاحين يملكون اقل من ٧ دونمات ، و٦٣ بالمئة يملكون اقل من ٢٠ دونما (الحد الادنى اللازم لاطعام عائلة فلاحية ١٢٠ دونما)(٣٢). ولكن من خلال انسحاق الفلاح العربي بين كابوس مثلث : الغزو الصهيوني للارض ، والملكية الاقطاعية العربية ، وفداحة الضرائب التي تفرضها حكومة الانتداب ، فان التحدي الذي يأخذ مكان الصدارة هو التحدي القومي . ان كثيرا من الفلاحين العرب الصغار ، في انتفاضة آب ١٩٢٩ وانتفاضة ١٩٣٣ باعوا اراضيهم للملاكين العرب الكبار كي يشتروا باثمانها سلاحا لمقاومة الغزو الصهيوني والانتداب البريطاني . ان الغزو ، الذي يتحدى طراز عيش له نفوذ الدين والتقليد والشرف ، هو الذي مكن القيادات الاقطاعية ـ الاكليركية من مواصلة لعب